فتحي يكن

نحو حركة إسلامية عالمية واحدة

مؤسسة الرسالة

فتحي يكن

نحو حركة إسلامية عالمية واحدة

مؤسسة الرسالة

الطبعة العاشرة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

مؤسسة الرسالة
للطباعة والنشر والتوزيع
مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف : ٦٠٣٢٤٣ - ٨١٥١١٢ - ص.ب : ٧٤٦٠ . برقياً : بيوشران

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

منطق المواجهة يفرض على العاملين في الحقل الإسلامي أن يعيدوا النظر باستمرار في خطط المواجهة ووسائلها حتى يمدوا العمل الإسلامي بكل متطلبات الصمود والنجاح .

وإن من قبيل المواجهة بالمثل ورد التحدي بمثله أن تكون وسائلنا وإمكاناتنا في نفس المستوى مع وسائل وإمكانات أعدائنا النامية المتطورة .. وإن من الخيانة للمبادىء التي نحمل أن تبقى تصوراتنا لطبيعة العمل الإسلامي ولفن المواجهة ووسائلها ومتطلباتها متخلفة غير نامية ولا متطورة

وهذه الرسالة (**نحو حركة اسلامية عالمية واحدة**) هي في الحقيقة مسودة مشروع حركي أكثر منها دراسة فكرية مجردة أتقدم بها إلى العاملين في الحقل الإسلامي في كل مكان .. شعوراً

بضرورة بعث العمل الإسلامي المعاصر ، كيما يكون في مستوى المواجهة مع الجاهلية وتحدياتها المتزايدة .

عسى أن أكون قد أديت بعض الواجب ومعذرة إلى الله .

والله أكبر ولله الحمد

غرة محرم ١٣٩١

٢٦/شباط/١٩٧١ م

المؤلف

تشعبت طرائق العمل للإسلام في العصر الحديث مما يبعث على الخوف والقلق من أن يؤدي هذا التشعبُ إلى تشوه الصورة السليمة الأصلية لطبيعة العمل الإسلامي وخصائصه ، وبالتالي إلى استنزاف القوى والفعاليات الإسلامية في مماحكات كلامية ومنافسات حزبية رخيصة لا أقول إنها لا تخدُمُ الإسلامَ أو القضية الإسلامية فحسب ، وإنما أقول إنها تؤدي إن لم تكن قد أدت إلى بلبلة عقول الناس وتنفيرهم ، وفي النهاية خسرانهم وجعلهم في جانب العاملين لهدم الإسلام ، وما أكثرُهم في هذه الأيام ؟

ومنطق المواجهة في العصر الحديث فضلاً عن منطق الشرع والإسلام يقضيان ويحتمان تلاحم القوى الإسلامية واحتشادَها في مسيرة واحدة لضرب الجاهلية ، وإقامة دولة تحتكم إلى شرعة الله ، وتأخذ طريقها إلى هداية العاملين .

مبررات قيام حركة اسلامية عالمية واحدة

إن المبررات التي تحتم قيام حركة إسلامية عالمية واحدة

كبرُ من أن تناقش وأكثرُ من أن تعد ، والعاملون في الحقل الإسلامي مدعوون لتمحيصها ودراستها ، حتى يكون العمل والسعيُ لإيجاد الحركة الإسلامية المنشودة قائماً على قناعة وإيمان وليس على عاطفة مشبوبة وحماس عفوي مؤقت .

إن الإسلام يواجه في هذا العصر تحديات ضارية من أكثرَ من جهة واتجاه .. وأحكام الإسلام وقوانينه المنبثقة عن الشريعة الإسلامية معطلة في سائر أنحاء الوطن الإسلامي ... بل إن حكم الطاغوت والأنظمة والأفكار المادية الوضعية المضادة للإسلام والحاقدة عليه والمتناقضة مع فلسفته الكونية ومبادئه الأخلاقية هي السائدة .. والأفكار المادية والفلسفات الإلحادية عصفت بأدمغة الأجيال .. ومستوى الإنحلال الخلقي وصل إلى الدرك الأسفل .. وجور الأنظمة الحاكمة وظلم القوانين القائمة وعدم توفيرها للعدالة والحرية والمساواة مكن للغزو الماركسي اليساري الملحد من أن يجتاح الأمة باسم تحقيق العدالة ونصفة المظلومين ورفع مستوى الفقراء والكادحين ..

ثم إن المعركة الدائرة رحاها اليوم بين الإسلام وبين (الجاهلية) لم تعد في مستوى البحث العلمي المجرد أو في حدود المناقشة الفكرية الهادفة .. بل أضحى هذا الصراع دموياً ضارياً بكل ما في هاتين الكلمتين من معنى ؟

إن جاهلية اليوم تستخدم في حربها للإسلام ودعاته كل

الأسلحة الفتاكة... الأسلحة المبيدة ... الأسلحة الخبيثة ... إن القتل والسحل والسجن والتعذيب والتشريد ، وإن حملات الإرجاف والتشكيك والتخوين والاتهام كل هـــذه وغيرها من الوسائل المعتمدة لدى (الجاهلية الحديثة) لضرب الاسلام وتصفية العاملين له في كل مكان ..

ثم إن العالم كل العــالم بات يعيش حالة ضياع .. وأصبح يئن تحت وطئة الانحراف والشذوذ والفراغ .. العـــالم الذي أعمته مظاهر المدنية الحديثة ، وأحرقته نار الثورة الجنسية ، وهدته الصراعات البهيمية (الهيبية والوجودية الخ . .) مما يتهدد الوجود الانساني والأخلاق الانسانية والأفكار الانسانية - حتى المجردة منها – بالفناء والفناء الكامل .

وثمة مبرر آخر يحتم قيام حركة إسلامية عالمية واحدة وهو أن التحديات التي تواجه الاسلام إنمـــا هي في حقيقتها تحديات حركات عالمية) كالحركة الصهيونية والحركة الماسونية والحركة الشيوعية والحركة التبشيرية الصليبية .. ومثل هذه الحركات العالمية ذات القدرات والامكانيـــات البشرية والمادية والفنية الهائلة لا يمكن – بل لا يجوز – مواجهتها إلا على نفس مستواها وبنفس وسائلها ، وسوى ذلك لا يعني غير التراجع والاندثار ؟

هذه المبررات وغيرها تحتم بمــا لا يدع مجالاً للتباطؤ والشك والتلكؤ ، قيام حركة إسلامية عالمية واحدة تكون في مستوى المواجهة تفكيراً وتنظيماً وتخطيطاً وإعداداً ، وصدق الله تعالى

حيث يقول (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) .

تجارب في نطاق العمل للاسلام

وقبل أن نناقش المواصفات العامة والملامح الأساسية التي ينبغي توفرها في الحركة الاسلامية العامة الواحدة لا بد وأن نستعرض التجارب التي قامت في نطاق العمل للاسلام في العصر الحديث تلمساً للعبرة واستزادة للخبرة والله الهادي الى سواء السبيل ...

١ - طريق الوعظ والارشاد (أو تجربة جماعة التبليغ)

وهو الاسلوب الذي يمارسه الوعاظ والمرشدون بشكل إفرادي في غالب الأحيان والذي تمارسه جماعة التبليغ بشكل جماعي .. وجماعة التبليغ تلزم اتباعها ببذل أوقات معينة للقيام بهذا الواجب ، ساعة في الأسبوع ، أو يوماً في الشهر ، أو شهراً في السنة ، يقومون فيها بالدعوة الى الاسلام في سائر أنحاء الوطن الاسلامي ..

وجماعة التبليغ مع حرارة دعاتها في الدعوة الى الله وحماسهم وصدقهم وإخلاصهم وصفائهم ، إلا أنه لا يقدر لها أن تكسب الجولة مع الجاهلية العاتية إن بقي أسلوبها الحالي نفس الأسلوب في المستقبل أو أصبح سياسة مضطردة في سائر مراحل العمل وفي مختلف الظروف ..

أ – إن هذا الأسلوب لا يفضي بنتيجته الى إقامة تجمع حركي منظم قادر على مواجهة الجاهلية وتحدياتها المتزايدة ، وبالتالي إلى إيجاد المجتمع الإسلامي وإقامة الدولة الاسلامية واستئناف الحياة الإسلامية .

ب – ثم إن مثل هذا الأسلوب سيبقى نطاق عمله محصوراً في المساجد وروادها بمعنى أن أثره لن يمتد الى الآخرين الذين يمثلون اليوم السواد الأعظم من الناس ، والى قطاعاتهم المختلفة ..

ج – كما إن هذا الأسلوب لن يتمكن من مواجهة تحديات الأفكار والفلسفات المادية ويرد عليها ، لأنه ينتهج في غالب الأحيان أسلوب الموعظة العاطفية المؤثرة وأسلوب الترغيب والترهيب ، وهذا لا يمكن أن يؤثر في غير المتدينين أصلا ..

د – ومن ظاهر هذا الأسلوب أنه ليس في تخطيطه – والله أعلم – أن يتابع البذور حتى تنمو وتصبح غرساً ليجنيها بعد ذلك ثمراً . وقد يكون مماثلا للأسلوب الذي انتهجه (طاهر الجزائري) و (جمال الدين الأفغاني) والذي عبر عنه الأخير بقوله (قل كلمتك وامش) وهذه الطريقة غير مضمونة النتيجة فضلاً عن كونها بطيئة الأثر قليلة الثمر .

يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي (أمير الجماعة الاسلاميه بباكستان) مشيراً الى عقم أسلوب الوعظ والارشاد (يصبح من العبث الدعوة الى الاسلام على طريقة التبشير المسيحي) ولو

طبعت ملايين النشرات تدعو الى التمسك بالاسلام وتصيح بالناس أن « اتقو الله » صباح مساء، لما كانت ذات فائدة تذكر . إذ ما هي الفائدة العملية التي ستنجم عن تأكيد أن الاسلام صالح لكل زمان ومكان وأن فوائده ومزاياه ليس لها مثيل عن طريق القلم والخطابة ؟ إن حاجة العصر تتطلب ابراز هذه المزايا بصورة عملية في عالم الواقع .. إن مشاكل العالم المادية لن تحل لمجرد القول بأن الاسلام يملك حلها .. إن قيمة الاسلام الذاتية لا بد وأن تبرز الى الوجود في هيئة نظام عملي مهيمن يلمس الناس آثاره ويجنون ثماره .. اننا نعيش في عالم يقوم على الصراع والكفاح . والخطابة والوعظ لن تفلح في تغيير مجراه ولكن الكفاح الثائر وحده هو الذي يستطيع ذلك .. » رسالة: داء المسلمين ودواءهم ص ١٥ » ..

٢ – طريق القوة أو الثورة المسلحة (أو تجربة عرفان والقسام وصفوي) .

ولقد قامت في العصر الحديث محاولات عدة في نطاق العمل للاسلام اتسمت بطابع الثورة وتوسلت القوة أساساً لمواجهة التحديات واستئناف الحياة الإسلامية .

من هذه التجارب تجربة « الشهيد أحمد بن عرفان » في الهند الذي استجاب له عدد كبير من الناس فجندهم وحمل أمامهم راية الجهاد، واستطاعوا أن يؤسسوا دولة إسلامية في مدينة «بشاور»

شمالي الهند ، غير أن الإنكليز تآمروا عليها بدهاء ، وألبوا المسلمين من رجال القبائل ضدها ، مما أدى إلى قيام معركة عنيفة بين الطرفين قتل فيها الإمام وكبار أصحابه وذلك عام ١٢٤٦هـ.

ومنها تجربة الشهيد « الشيخ عز الدين القسام » الذي استحيا من الله أن يُقرىء تلاميذه أحكام الجهاد ثم هو لا ينفر معهم إلى قتال الإنجليز الذين كانوا يحتلون فلسطين في ذلك الحين ، فما كان منه إلا أن استنفر أتباعــه وتدرب على القتال ودربهم عليه ، وأعلن الجهاد على أعداء الله حتى سقط شهيداً عام ١٩٣٦ .

ومنها تجربة « الشهيد نواب صفوي » زعيم حركة الفدائيين المسلمين في إيران التي تؤمن بأن القوة والأعـــداد هي السبيل الوحيد لتطهير أرض الإسلام من الصهيونية والمستعمرين وإقامة حكم الإسلام .. ولقد قـــاومت الحركة أعداء الإسلام في إيران مقاومة الأبطال الى أن سقط نواب صفوي وعصبة من إخوانه الأبرار برصاص الخونة المجرمين عام ١٩٥٦ م .

وليس من شأننا هنا أن نناقش بالتفصيل الأسلوب الذي اعتمدته هذه الحركات في مواجهة خصومها ، غير أننا نود أن نشير الى أن منطق العصر ومنطق المواجهة ومنطق الإسلام وإن كان يحتم امتلاك القوة وأسبابها ، ولكن بشرط أن يتحقق التوسل بها واستعمالها كجزء من استراتيجية وليس الاستراتيجية كلها.

ولنا أن نثبت هنا ما أشار إليه الشهيد البنائي معرض مناقشته لموضوع استخدام القوة في نطاق العمل للإسلام . قال رحمه الله :

ويتساءل كثير من الناس : هل في عزم الإخوان المسلمين أن يستخدموا القوة في تحقيق أغراضهم والوصول الى غايتهم ؟ وهل يفكر الإخوان المسلمون في إعداد ثورة عامة على النظام السياسي أو النظام الاجتماعي ؟ ولا أريد أن أدع هؤلاء المتسائلين في حيرة بل إني أنتهز هذه الفرصة فأكشف اللثام عن الجواب السافر لهذا التساؤل فأقول في وضوح وجلاء ، وليسمع من يشاء : أما القوة فشعار الإسلام في كل نظمه وتشريعاته ، فالقرآن الكريم ينادي في وضوح وجلاء « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . ولكن الإخوان المسلمين أعمق فكراً وأبعد نظراً من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر فلا يغوصوا الى أعماقها ولا يزنوا نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها ، فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان ، ويلي ذلك قوة الوحدة والإرتباط ، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح ، ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعاً ، وأنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان فسيكون مصيرها للفناء والهلاك .. هذه نظرة ، ونظرة أخرى ، هل أوصى الإسلام — والقوة شعاره — باستخدام القوة في كل الظروف والأحوال ؟ أم حدد لذلك حدوداً واشترط شروطاً ووجه القوة توجيهاً محدوداً ؟ ونظرة ثالثة ، هل تكون القوة أول علاج أم أن آخر الدواء الكي ؟ وهل من

الواجب أن يوازن الإنسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف ؟ أم من واجبه أن يستخدم القوة وليكن بعد ذلك ما يكون ؟ هذه نظرات يلقيها الإخوان المسلمون على أسلوب استخدام القوة قبل أن يقدموا عليه » « رسالة المؤتمر الخامس عام ١٣٥٧ هـ » .

٣ – طريق التثقيف وبث الأفكار (أو تجربة حزب التحرير الاسلامي)

يؤمن حزب التحرير الإسلامي بأن عملية إنقاذ الأمة مما تتخبط فيه من أمراض وعلل تتم بإعادة ثقتها بصحة أفكار الإسلام وأحكامه .. وأن طريقها الى ذلك ثورة فكرية سياسية تدمر الأفكار الباطلة وتحطم الحكم الفاسد . ولهذا وضع الحزب مجموعة من الكتب والنشرات في شتى الموضوعات ، كما أنه يوالي إصدار نشرات فكرية وسياسية بين الحين والآخر ، إما بياناً الحكم الإسلام في مسألة أو تحديداً لموقف الحزب من قضية .

وآراء الإسلاميين في حزب التحرير مختلفة ... فمنهم من يشك في أساس نشأة الحزب وأهدافه وغاياته ... فيعتبر أن قيامه لم يكن ذاتياً وإنما بغرض بلبلة أفكار الناس وتشكيكهم بالحركات الإسلامية الأصيلة التي سبقته ، أو على الأقل بتشكيك أفراد هذه الحركات بحركاتهم وجماعاتهم . ويستدل أصحاب هذا القول على ذلك بالغموض الذي يكتنف حزب التحرير والإبهام

الذي يحيط بقيادته ، كما يستدلون على ذلك بما ورد في مقدمة رسالة « التكتل الحزبي » التي تعتبر كل التجمعات والتكتلات والحركات التي سبقت حزب التحرير فاشلة متناقضة وقائمة على أساس مغلوط ... كما يستدلون على ذلك – كذلك – بانحصار نشاط الحزب في رصد العناصر الاسلامية العاملة –دون غيرها– ومحاولة امتصاصها عن طريق تشكيكها بانحراف خط سير الجماعة التي تنتسب إليها ، وبضعف أفكارها وتباين هذه الأفكار وعدم وحدتها ، وأخيراً بعدم نجاحها في إقامة الدولة الاسلامية خلال السنوات الطويلة من حياتها ، ثم بإيهام هذه العناصر بقوة الحزب وقدرته « السحرية » على إقامة الدولة بسرعة حتى ليخيل الى بعضهم أنها قامت فعلا ، أو أن قيامها لم يعد بحاجة إلا الى اعلان ويقول أصحاب هذا الرأي إن النتائج النفسية المقصودة لهذا الأسلوب الذي يتبناه حزب التحرير هو تدمير نفسية هؤلاء الذين يجتذبهم الحزب لفترة من الزمن ثم لا يلبث أن يلفظهم إما عناصر شوهاء موتورة ، ضررها للإسلام أكبر من نفعها ، أو عناصر مسيخة معدومة الانتاج مبلبلة التفكير صدمها الواقع المرير بعد الأمل المريض

ومنهم من يعتبر حزب التحرير تجربة من التجارب التي مرت وتمر بالعمل الاسلامي ، وإن لهذه التجربة حسناتها كما أن لها سيئاتها .. وإن هذه التجربة أكدت فشلها لعدم بلوغها

هدافها بالسرعة التي حددتها لنفسها ، والتي سبق أن اعتبرتها حجة على سابقاتها ، والتي هي اليوم تبررها لنفسها فتقول في إحدى نشراتها الداخلية « سؤال وجواب » : « ومن ذلك يتبين أن ما يبدو من عدم ظهور أي تأثير للحزب بين الناس من حيث الأفكار الاسلامية الأساسية ليس ناتجاً عن خطأ في فهم الطريقة ، ولا عن إساءة في تطبيقها ، ولا عن انحراف عنها ، وإنما طبيعة الطريقة نفسها لا تجعل بروز آثارها سريعاً .. وطبيعة المجتمعات ولا سيما المجتمعات المتأخرة فكرياً يكون انتقال الحرارة إليها بطيئاً جداً أي يكون تأثرها بالأفكار يحتاج الى المدى الطويل والجرعات القوية .. »

وأنا لا أود أن أستعرض آراء الناس كل الناس في حزب التحرير وإنما قصدي الاستفادة من دراسة الحزب كتجربة من تجارب العمل للإسلام في العصر الحديث بصرف النظر عن موقف الآخرين منه ، سيما وأنه لم يقم أي دليل قطعي يصم الحزب بما يشين تبعيته أو مقاصده .. وإطلاق ما يطلقه الناس أو إشاعة ما يشيعونه أسلوب غوغائي يجب أن يترفع عنه أصحاب الرسالات والنقد الموضوعي المنطقي الهادف هو الأسلوب الأسلم لإثبات ما للحزب وما عليه ، وهو الطريق الأقوم للبلوغ بالحركة الاسلامية المستوى اللائق بها كحركة عالمية رائدة .

وفيما يلي سأستعرض بعضاً من المآخذ التي يؤخذ بها الحزب

كتجربة من التجارب في نطاق التمهيد والتحضير لنشأة الحركة الإسلامية العالمية الواحدة .

١ - أخطأ (حزب التحرير) حين اعتمد الفكر - أولاً وآخراً - وسيلة لبنـاء الشخصية الإسلامية ... وحين يأخذ الحزب على حركة (الإخوان المسلمين) استغراقها في التربيـة والتكوين الروحي والأخلاقي تأخذ هي عليه بالتالي استغراقه في اعتماد الفكر الى حـد الإسفاف ، في الوقت الذي لا تهمل هي (الفكر) كذلك ..

وأسلوب الرسول ﷺ واضح الدلالة في أنه كان يعتمد التوعية الفكرية والتربية الروحية والأخلاقية والجهادية في بناء الشخصية الإسلامية .

٢ - وأخطأ حزب التحرير - كذلك - حين قرر مبدأ القفز من مرحلة (الثقافة) الى مرحلة (التفاعل) .. ذلك أن الحزب بانتقاله من مرحلة التثقيف الداخلي الى مرحلة التفاعل أي ضرب الأفكار والكيانات الجاهلية يكون كمن يود قطع واد من غير جسر ... ذلك أن مرحلة (التثقيف) لا تكفي للوقوف بالحزب في مواجهة التحدي الجاهلي دفعة واحدة .. كما أنـه لا تؤهل أفراد الحزب للصمود أمام هذا التحدي الشرس .. فكان لا بد من مرحلة يتسلل فيها الحزب الى الناس ويتخذ له بينهم مواطىء أقـدام ، وقواعـد ارتكاز وحماية .. تماماً كما كانت هجرة

الرسول ﷺ أشبه بعملية احتشاد ، ومرحلة استنفار ، وقاعدة حماية قبل أن يعلن النفير وتدق ساعة الصفر ..

٣ - وأخطأ حزب التحرير مرة أخرى حين اعتمد القوى والفعاليات (غير الذاتية) أي غير الحزبية أو حسب تعبيره واصطلاحه (طلب النصرة) في عملية الوصول الى الحكم ... فحزب التحرير يرى أن يستعين بالقوة للوصول الى السلطة واستئناف الحياة الإسلامية لكنه لا يرى ضرورة كذلك لامتلاك هذه القوة أساساً ..

يقول الحزب في نشرة (جواب سؤال) ولقد طلب الحزب النصرة في سورية ليتمكن من القيام بحمل الدعوة وليأخذ الحكم. وطلب النصرة في العراق ليتمكن من القيام بحمل الدعوة وليأخذ الحكم .. وظل الحال كذلك حتى أوائل ١٩٦٤ دون أن يجد من يلبي طلب النصرة) ثم يقول (فقد يكون طلب النصرة من رئيس دولة فيحتاج الأمر الى وفد واحد أو الى شاب واحد .. وقد يكون طلب النصرة من رئيس كتلة أو قائد جماعة أو زعيم قبيلة أو من سفير أو ما شاكل ذلك ، فيحتاج الأمر الى اختيار معرفين وعدة شباب ، وقد لا يحتاج إلا الى شاب واحد خبير .)

غريب منطق (طلب النصرة) هذا لدى حزب التحرير حيث أنه مرفوض بداهة .. فأما أنه مرفوض بداهة فلكونه طلباً لن يحظى يوماً بالقبول من أحد ... واعتماد الحركة على

قواها الذاتية ، وتمكين عناصرها الصميمة من بعض القطاعات الاستراتيجية هو الأسلوب الأقوم والأسلم في تحقيق ما تهدف اليه وبخاصة في ظروف سيئة كالظروف التي تعيشها البلاد الإسلامية في ظل أنظمة (المخابرات الداخلية والاستخبارات الخارجية)؟.

إن منطق (طلب النصرة) الذي يعتمدة حزب التحرير لتحقيق الانقلاب الإسلامي للوصول الى السلطة منطق غير سديد ومن شأنه أن يجعل الانقلاب الإسلامي المنشود صيحة في واد ونفخة في رماد ؟

٤ — وأخطأ حزب التحرير — أيضاً — حين التزم بفكرة تبني الأحكام والأفكار بشكلها التعميمي .. حيث أعطى لكل سؤال جواباً ، وتبنى لكل قضية حكماً .. إن هذا الأمر يبدو في ظاهره ولأول مرة جميلاً ورائعاً وبخاصة للشباب المحدودي الثقافة الإسلامية ، ولكنه في نتائجه وأبعاده من شأنه أن يمسخ الثقافة الإسلامية ويضيق الفكر الإسلامي ويحجر عليه ضمن دائرة الكتب التي أصدرها حزب التحرير دون سواها .

إن فكرة التبني في الأمور الخلافية الكبرى والمصيرية الهامة ذات الإنعكاس الحركي والسياسي جيد ومفيد ، ولكن إطلاقها بحيث تشمل كل شأن من شؤون التشريع سيء ومخيف ؟

وأود أن أنقل هنا فقرة وردت في كتاب (معالم في الطريق) للشهيد سيد قطب تعبر عن هذا المعنى أفصح تعبير .. قال رحمه

الله : (ولقد يخيل لبعض المخلصين المتعجلين ، ممن لا يتدبرون طبيعة هذا الدين ، وطبيعة منهجه الرباني القويم ، المؤسس على حكمة العليم الحكيم ، وعلمه بطبائع البشر وحاجات الحياة ... نقول لقد يخيل لبعض هؤلاء أن عرض أسس النظام الإسلامي – بل التشريعات الإسلامية كذلك على الناس مما ييسر لهم طريق الدعوة ويحبب الناس في هذا الدين.. فالذين يريدون من الإسلام اليوم أن يصوغ نظريات وأن يصوغ قوالب نظام ، وأن يصوغ تشريعات للحياة . بينما ليس على وجه الأرض مجتمع قد قرر فعلاً تحكيم شريعة الله وحدها ، ورفض كل شريعة سواها ، مع تملكه للسلطة التي تفرض هذا وتنفذه . الذين يريدون من الإسلام هذا لا يدركون طبيعة هذا الدين ، ولا كيف يعمل في الحياة ، كما يريد له الله) .. ولقد برزت على الحزب في الآونة الأخيرة مآخذ سياسية ومآخذ فقهية متعددة يضيق المجال عن مناقشتها الآن وأكتفي بذكر مثلين منها على سبيل المثال : الأول تشكيكهم بالجماعة الإسلامية في باكستان وقد نشر هذا في بيان الحزب . والثانية : إباحتهم القبلة عند الوداع أو السفر وهي كبيرة من الكبائر والتي وقع فيها الحزب ، وقد نشر هذا في بيان كذلك.

وأكتفي هنا بهذا القدر من المآخذ التي برزت خلال التجربة التي مارسها حزب التحرير ومن خلال محتواه الفكري والحركي لانتقل الى تجربة أخرى من تجارب العمل الإسلامي في العصر الحديث .

٤ ـ طريق الايمان العميق والتكوين الدقيق والعمل المتواصل أو (تجربة حركة الاخوان المسلمين) :

حركة الاخوان المسلمين هي الحركة الممتدة عبر أكثر أقطار العالم الإسلامي وإن لم تصبح بعد حركة واحدة تخطيطاً وتنظيماً

وقد أوضح مؤسس الحركة الامام الشهيد حسن البنا من أول يوم طريقة دعوته وأسلوبها ووسائلها فقال : (أيها الاخوان .. لقد أراد الله أن نرث هذه التركة المثقلة بالتبعات .. وأن يشرق نور دعوتكم في ثنايا هذا الظلام .. وأن يهيئكم الله لاعلاء كلمته ، وإظهار شريعته ، وإقامة دولته من جديد ..

أما كيف نعمل لهـذه الأهداف ؟ إن الخطب والأقوال والمكاتبات والدروس والمحاضرات وتشخيص الداء ووصف الدواء كل ذلك وحده لا يجدي نفعاً ولا يحقق غاية ولا يصل بالداعين إلى هدف من الأهداف .. ولكن للدعوات وسائل لا بد من الأخذ بها والعمل لها .. والوسائل العامة للدعوات لا تتغير ولا تتبدل ولا تعدو هذه الأمور :

١ ـ الايمان العميق . ٢ ـ التكوين الدقيق . ٣ ـ العمل المتواصل .

أيها الاخوان . أنتم لستم جمعية خيرية ، ولا حزباً سياسياً ولا هيئة موضعية لأغراض محدودة المقاصد ، ولكنكم روح جديد يسري في قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن . . ونور جديد

يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله .. وصوت داو يعلو مردداً دعوة الرسول ﷺ . ومن الحق الذي لا غلو فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء بعد أن تخلى الناس عنه ..

فإذا قيل لكم إلام تدعون ؟ فقولوا ندعو إلى الاسلام الذي جاء به محمد ﷺ والحكومة جزء منه ، والحرية فريضة من فرائضه فإذا قيل لكم هذه سياسة فقولوا هذا هو الاسلام ونحن لا نعرف هذه الأقسام . وإن قيل لكم أنتم دعاة ثورة ، فقولوا : نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتز به ، فإن ثرتم علينا ووقفتم في طريق دعوتنا فقد آن لنا أن ندفع عن أنفسنا وكنتم الثائرين الظالمين وإن قيل لكم إنكم تستعينون بالأشخاص والهيئات ، فقولوا : آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنتم به مشركين .. فإن لجوا في عدوانهم فقولوا : سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ..)

من خلال ما تقدم يتبين لنا أن حركة الاخوان المسلمين تتميز بعموميتها عن سائر الحركات الاخرى .. فهي دعوةفكرية من حيث أنها تدعو إلى الالتزام بالأفكار الاسلامية والوقوف عند أحكام الشريعة الاسلامية ولفظ وترك كل ما عدا ذلك من أفكار وتشريعات ومبادىء وفلسفات (من أجل تكوين العقلية الاسلامية) .

ـ وهي دعوة تربوية من حيث أنهاندعو إلىالالتزام بأخلاق الاسلام وآدابه وإلى تزكية النفس والسمو بها في مدارج الربانية

(من أجل تكوين النفسية الاسلامية) .

ـ وهي دعوة جهادية من حيث أنها تدعو إلى الاعداد الجهادي بكافة وسائله وأسبابه .. حتى يكون للحق القوة التي تحميه ، وحتى تتمكن الدعوة من مواجهة التحديات ومجاوزة الملمات ..

وقد أشار الامام البنا إلى هذا المعنى في (رسالة إلى أي شيء ندعو الناس) فقال : (ما أحكم ذلك القائل : « القوة أضمن طريق لاحقاق الحق ، وما أجمل أن تسير القوة والحق جنباً إلى جنب . فهذا الجهاد في سبيل نشر الدعوة الاسلامية فضلاً عن الاحتفاظ بمقدسات الاسلام فريضة أخرى فرضها الله على المسلمين كما فرض عليهم الصوم والصلاة والحج والزكاة وفعل الخير وترك الشر ، وألزمهم إياها وندبهم إليها ، ولم يعذر في ذلك أحداً فيه قوة واستطاعة . وإنها لآية زاجرة رادعة وموعظة بالغة ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ .[1]

ولقد كان الامام الشهيد يؤكد على هذه المعاني الجهادية في أكثر أحاديثه وخطبه ، لأن الحق الأعزل لن يحقق شيئاً ولن يصل إلى شيء ، ولأنه لا قيمة لحق لا تسنده القوة .. ولقد جاء تركيز هذا المعنى واضحاً في خطاب ألقاه في المؤتمر الخامس للحركة عام ١٣٥٧ هجرية حيث قال : (وفي الوقت الذي يكون فيه منكم ـ معشر الاخوان المسلمين ـ ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كلٌّ نفسها روحياً بالايمان والعقيدة ، وفكرياً بالعلم والثقافة ،

---

(١) التوبة الآية ٤٠ .

وجسمياً بالتدريب والرياضة .. في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجاج البحار ، وأقتحم بكم عنان السماء ، وأغزو بكم كل عنيد جبار : فإني فاعل إن شاء الله ، وصدق رسول الله القائل : (ولن يُغلب اثنا عشر ألفاً من قلة) ..

الحركة الاسلامية وظروف المنطقة ومنطق المواجهة

ولقد كان مقدراً لحركة الاخوان المسلمين أن تنجح وتحقق الهدف من وجودها بعد أن أصبحت ملء عين العالم وسمعه وبصره لولا أن تكاتفت عليها معاول الهدم من كل جانب ، وتآمرت عليها قوى الاستعمار من كل جهة ، وتلاحقت على رأسها الضربات والمحن .. بدأت باستشهاد مؤسسها المرحوم حسن البنا عام ١٩٤٨ ثم باستشهاد عدد ضخم من رجالاتها وقادتها ممن يعتبرون عمالقة ليس على المستوى الحركي الحزبي الضيق ولكن على المستوى العالمي الفسيح .

ولقد كان من نتائج ذلك انكماش نشاط الحركة وانحسارها عن معترك الصراع السياسي وإن بقي وجودها الفكري والعقائدي قائماً .. كما كان من نتائج المحنة التي لحقت بالحركة الاسلامية أن تحكمت أنظمة الكفر في بلاد المسلمين ، وعمل الغزو الماركسي الملحد عمله في تخريب عقول الناس وأدمغتهم .. وبذلك تغير في المنطقة – على الأقل العربية – كل شيء ..

فالحياة الديمقراطية التي كانت تسمح بحرية العمل الحزبي

ذهبت إلى غير رجعة ..

والنظم القائمة في المنطقة معبأة بالحقد الأسود على الاسلام والمسلمين ..

والمواجهات الحزبية لم تعد في مستوى النقاش والحوار العقائدي وإنما غدت دموية غوغائية شرسة ..

كل ذلك عمل على تجميد الحركة الاسلامية ووقف سيرها ، وبالتالي على بروز ظاهرة التكامل والتآكل في حياتها . هذا فضلا عن أن الحركة الاسلامية في عدد من الأقطار تراجعت تراجعاً مخيفاً أمام التيارات المادية الغازية ، وأخلت خطوط دفاعها الأولى ، الأمر الذي مكـن لهذه القوى الجاهلية في بلاد المسلمين ، وسهّل لها سبيل الوصول إلى السلطة ، واغتصابها ومن ثم تسخيرها واستخدامها لحرب الاسلام بوجه عام ولضرب الحركة الاسلامية بوجه خاص كما كنا قد أشرنا آنفاً ..

وأود أن أقف بكم قليلاً هنا لمناقشـة اسباب بروز ظاهرة التكامل والتآكل في حياة الحركة الأسلامية المعاصره :

المقصود بالتكامل والتآكل هو أن التجارب التي قامت في نطاق العمل للاسلام لا تكاد عناصرها تتكامل حتى تأخذ بالتآكل ، وأنه لا تكاد امكانياتها تتجمع وتتهيأ حتى تأخذ بالتداعي والانفراط قبل أن تحقق الهدف الرئيسي من وجودها بإقامة المجتمع الاسلامي واستئناف الحياة الاسلامية ..

تشخيصات :

والعاملون في الحقل الإسلامي المسلّمون بوجود هذه الظاهرة متباينون في تقديرهم لأسباب نشوئها واستفحالها ..

فمنهم من يعتبرها أمراً طبيعياً ونتيجة محتومه لانحسار الخير وطغيان الشر على العالم ، وبالتالي لحتميه (الغربة) التي سيؤول إليها الإسلام ودعاته في آخر الزمان .. ويستدلون على ذلك بأحاديث للرسول الأعظم ﷺ منها قوله : (يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر [١]) وقوله : (خير القرون قرني ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، والآخرون أراذل [٢]) .

ومنهم من يرد الأسباب الى سوء الأوضاع الاجتماعيه والاقتصادية والسياسية التي تعيشها الأمة في أعقاب سقوط الدولة الإسلاميه وانتقاض الحكم الإسلامي ، والى المؤامرات التي تتكاتف فيها القوى العالميه الثلاث (الصهيونيه والشيوعيه والصليبيه) لضرب الاتجاه الإسلامي وعزل الفكرة الإسلاميه عن الحياة ، طوراً بإثارة النعرات العصبية والقومية ، وطوراً آخر بإنشاء الحركات الماديه الإلحادية والتبشيرية ، وبكل الطرق والأساليب التي من شأنها تشكيك المسلمين بمعتقداتهم وتشريعاتهم .

ومنهم من يعزو الأمر الى قلة الإمكانيات البشريه والفنيه

---

(١) رواه الترمذي حديث حسن .
(٢) رواه الطبراني والحاكم حديث حسن .

والماديه التي تمتلكها الحركة الإسلاميه المعـــاصرة ، وأنها دون مستوى المواجهه مع الجاهليه العاتيه .

مناقشات :

والحقيقة إن كل ما ورد من آراء في مناقشـة أسباب بروز ظاهرة (التكامل والتآكل) في نطاق التجارب المعاصرة للعمل الإسلامي هي من الأسباب ولكنها ليست الأسباب كلها ، بل إنها في الحقيقة ليست الأسباب الرئيسية الجوهرية الكامنة وراء هذه القضية ..

فالذين يعتبرون (الظاهرة) أمراً طبيعياً ونتيجة محتومـة لانحسار الخير وطغيان الشر محقون ولكن إلى حـد .. فالشر كان موجوداً منذ الخليقة ودعوات الرسل والأنبياء جميعاً ليس لها من مبرر لولا وجود الشر وانحراف البشرية وحاجتهـا إلى الإصلاح والتقويم .. بل إن طغيان الباطل وجنده ينبغي أن يحفز الحق وأهله لمزيد من الإصرار والتمرد والثبات .. ولقـد قيل للحق يوماً (أين كنت في صولة الباطل ؟ قال: كنت أجتث جذوره) .. والواقع أن الباطل لا يذيع ويشيع إلا في غفـلة أهل الحق وضعفهم وانعزالهم عن ميادين البذل والجهاد .

وأصحاب هذا الرأي مخطئون إذا اعتقدوا بأن لا أمـل في الإصلاح .. وهم بذلك خارجون عن دائرة التصور الإسلامي ، لأن اعتقادهم هذا سيدفعهم بدون شك إلى الإنسحاب من المعركة والفرار من الزحف ، وبالتالي سيصابون باليـأس وسيُلقون

السلاح ، وليس معنى هذا سوى الاستسلام والانهزام ..

إن الإسلام يطالب أتباعه والمؤمنين بـه أن يعملوا ويبذلوا قصارى جهدهم وصادق جهادهم ليس إلا .. أما النصر فإنه من شأن الله وقدره ، كما أنه في صحائف غيبه وعلمه .. وحري بأهل الحق أن يفرغوا طاقاتهم ويبذلوا ما وسعهم البذل فيما يحقق رضاء الله أولاً حتى ولو لم يكونوا ضامنين للنصر واثقين منه .. وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ .[1]

وأما الذين يردون الأمر إلى سوء الأوضاع وتردي القيم وطغيان الجاهلية وفساد الزمن ، فنحن نعترف معهم بأن الإسلام يواجه تحديات في غاية القوة والشراسة والخبث .. ولكن هذا ينبغي أن لا يكون وليس هو السبب الأساسي الذي أدى إلى وقف المسيرة الإسلامية وتخبطها ، وإلى نشوء ظاهرة التكامل والتآكل في حياتها ..

وثمة نقطة أخرى تجدر الإشارة إليها – كذلك – وهي أن الأوضاع السيئة التي عليها العالم بصورة عامة والأمة بصورة خاصة ستزداد يوماً بعد يوم ، ما لم تتمكن الحركه الإسلامية من أخذ زمام المبادرة وإنقاذ الموقف . أما أن ننتظر تغير الأوضاع بشكل عفوي وبدون ثمن يبذل وتضحية تقدم فإن ذلك لضلال ما بعده ضلال ؟.

---

(١) التوبة الآية ١١١ .

إن من واجب الحركة الإسلامية أن تفكر اليوم - **بغير العقلية التي تفكر فيها بالأمس** .. لأن الأمس وظروفه وأوضاعه لم يعد في واقع اليوم إلا ذكريات مضت وهيهات أن تعود .. إن الأنظمة التي كانت تسمح إلى حد بممارسة النشاطات الحزبية المختلفة قد بادت وانقرضت وحلت محلها أنظمة حزبية بوليسية حاقدة على الإسلام وضليعة في التآمر عليه .. وعبثاً تنتظر الحركة تغير الحال من غير بذل جهد ودفع ثمن (ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة) .

وأما الذين يعزون بروز ظاهرة التكامل والتآكل في حياة الدعوة إلى قلة الإمكانيات وضعف الطاقات فأنا لست معهم في شيء . فالحركة الإسلامية في الواقع لا تشكو فقراً في الإمكانيات بقدر ما تشكو من عدم الاهتمام بهذه الإمكانيات وتنميتها وتطويرها والاستفادة منها على الزمن .. لقد مرت في تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة فرص وظروف كان في صفوفها من الإمكانيات المختلفة ما لم يكن عند سواها من الحركات التي سبقتها إلى السلطة وإلى الحكم في أكثر من قطر ؟ ولكن إهمالها لهذه الإمكانيات وعدم الاستفادة منها فيما يتلاءم مع طبيعتها واختصاصاتها وقدراتها ، وبالتالي عدم استيعابها فكرياً وتوجيهياً وحركياً ، أدى إلى فقدان بعضها ، وإلى نمو البعض الآخر نمواً وحشياً غير طبيعي فيه كثير من التوجيه والانحراف ..

أين يكمن الداء إذن ؟

إن الداء يكمن من وجهة نظري – أكثر ما يكمن – في (الجسم الحركي) نفسه ، وإن كنت لا أنكر كذلك أثر الضغوط الخارجية على الحركة الإسلامية ..

إنه يبدو في الفوضى الفكرية بين القادة والأفراد .. وفي فقدان الطاعة والنظام في العاملين وفي فقدان الإنقياد في الجنود .. كما يبدو في فتور الشعور بالمسؤولية في الجميع ، وفي الخواء الروحي وفي الترخص وعدم أخذ النفس بعزائم الأمور . ويصور هذا الوضع الأستاذ الندوي أروع تصوير في كتابه (ربانية لا رهبانية) فيقول :

الصفوف مموجة مضطربة .. والقلوب خاوية حائرة . والسجدة خامدة جامدة .. لا حرارة فيها ولا شوق [1] ؟ ،

التصور لطبيعة العمل سطحي .. وخطط المواجهة مرتجلة .. والعمل ضعيف متقطع لا استمرار فيه ولا ثبات عليه .

وحتى نكون موضوعيين في مواجهة هذه المعضلة لا بد من تحديد مواطن الداء بدقة ومناقشة الموضوع بتفصيل ، أملاً في الوصول إلى ما يعيننا على الخروج من هذه الدوامة التي استطار شرها واستفحل أمرها .

---

(١) راجع كتاب ربانية لا رهبانية للاستاذ أبي الحسن الندوي .

في نطاق التربية والتكوين :

إن بناء الشخصية المسلمة هو الخطوة الأولى في نطاق التحضير لبناء الدولة الإسلامية ، كائناً ما كان أسلوب الحركة ومنهجها في العمل ..

والشخصية الإسلامية لا يمكن أن تبنى وتتم ولادتها ما لم تسلم من مؤثرات المجتمع الجاهلي ومن ازدواجية التلقي والتوجيه ..

وتجدر الإشارة هنا - كذلك - إلى أن المقصود ببناء الشخصية المسلمة هو تكوين طليعة قيادية أو تنظيم حركي طليعي في مستوى ما تتطلبه المواجهة مع جاهلية اليوم ..

إن أبرز الصفات التي ينبغي توفرها في الشخصية الإسلامية هي :

أولا :

الانخلاع من الجاهلية انخلاعاً كلياً .. سواء في الأحاسيس والمشاعر ، أو في الأفكار والتصورات ، أو في الأعمال والتصرفات .

ثانيـــا :

الالتزام بالإسلام وأحكامه التزاماً كاملا . . بجعله محور الحياة ، ومنطلق التفكير ، وقاعدة التصور ، ومصدر الحكم في كل قضية وموضوع ..

ثالثاً :

اعتبار الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض هو الغاية الأساسية من الوجود .. وما يحتم هذا التصور من استعداد كامل للتضحية بكل شيء في سبيل هذه الغاية ..

والحقيقة التي لا جدال فيها هي أن المناهج والأساليب المعتمدة لدى الحركة الإسلاميه دون مستوى القدرة على تكوين شخصية إسلامية هذه ملامحها ومواصفاتها .. والواقع أن كل ما يمكن أن تقدمه هذه المناهج لا يعدو أن يكون قسطاً من الثقافة الإسلامية العامة والتوجيهات الروحية والخلقية مما يجعلها دون القدرة على صياغة الفرد المسلم الصياغة المنشودة ، التي تؤهله ليكون رجل العقيدة الذي يؤمن بها ويعيشها، ويضحي بالنفيس والغالي من أجلها ..

إن الغاية الأساسية من التربية والتكوين الإسلاميين ، تحقيق التفاعل بين الإسلام وبين الأفراد بحيث يتحقق من هذا التفاعل تجريدهم من ذواتهم .. تجريدهم من القيم الأرضية كلها والوشائج المادية كلها. تجريدهم من الاعتزاز بكل ما يعتز به من حطام وأهواء .. ليعتزوا بالحق وحده .. بحيث تتبع قدراتهم الحق ، ولا تتبع أهواءهم أو مشاعرهم الشخصية وذلك بأن يتجردوا لله .. يتجردوا له تجرداً خالصاً[١] .

(١) راجع كتاب منهج التربية الاسلامية - لمحمد قطب .

متطلبات التربية والتكوين :

إن للتربية والتكوين الإسلاميين متطلبات ينبغي توفرها لنجاح العملية .. وبغير هذه المتطلبات ستفشل كل محاولة في حقل التربية الإسلامية وسوف لا تتحقق ولادة الفرد المسلم الذي يمثل العمود الفقري في العمل الإسلامي برمته ..

وفي رأيي أن أهم متطلبات التربية هي :

أولاً :

المنهج السليم الذي يملك تخريج الفرد المسلم والجيل المسلم .. المنهج الذي تتكامل فيه جوانب التربية كلها ، الفكرية والروحية والأخلاقية والحركية ، مما يحقق التكامل والتوازن في بناء الشخصية الإسلامية ، ويحول دون طغيان جانب من هذه الجوانب على الآخر حتى لا يؤدي هذا الطغيان إلى تشوه الشخصية أو عدم تكاملها ..

إن المنهج الذي تحتاجه الحركة هو نفس المنهج الذي أخرج من متاهات الجاهلية خير أمة أخرجت للناس ، والذي يملك أن يخرج في كل زمان ومكان الجيل القائم على الحق المجاهد من أجله الذي لا يضره من خالفه حتى يأتي أمر الله ..

وبغير هذا النمط من الناس لا يمكن للحركة الإسلامية أن تواجه الواقع الجاهلي وتحقق النصر عليه .. كتب عمر بن الخطاب

رضي الله عنه خطاباً إلي عمرو بن العاص ، وقد استبطأ فتح مصر جاء فيه : أما بعد ، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر .. تقاتلونهم منذ سنتين .. وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم .. وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم) . وفي وصيته إلي سعد بن معاذ قائد المسلمين إلى فارس يقول (أما بعد : فإني أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال . فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب .. وأوصيك ومن معك من الأجناد بأن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله .. ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيله ..)

ثانياً :

القدوة الحسنة : وهي عامل أساسي وهام في نجاح عملية التربية .. إنه لا يكفي للداعية المربي أن يكون فقيهاً عالماً أو أو خطيباً لامعاً ، بل لا بد وأن يكون فوق هذا ومعه تقياً ورعاً عاملاً بعلمه .. فإذا خالف العمل العلم منع الرشد وحجب

الهدى وانعدم الأثر .. ورحم الله مالك بن دينار حيث يقول : (إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفاء) .

ثالثاً :

البيئة الصالحة : ويتوقف نجاح التربية — كذلك — على مدى صلاح البيئة وتوفر العزلة الشعورية التي يتعين تهيئتها للعناصر المراد تربيتها وتكوينها . وقد يكون أقرب إلى المستحيل نجاح عملية التربية في هذه مجتمعات جاهلية مقطوعة الصلة بالإسلام .

وحل هذه المشكلة مرهون بمدى إمكان عزل الحركة للعناصر الإسلامية ، وتهيئة المناخات والأجواء المناسبة لها وبخاصة أثناء مرحلة التكوين الأولى وقبل ندبها للمهام الحركية العامة .

إن فكرة عزل العناصر الإسلامية عن البيئة الجاهلية في مراحل التكوين جديرة بالدراسة والتأمل . كما أن التفكير والتأمل والبحث عن كيفية تحقيق هذا العزل أجدر .

إن عملية تكوين الشخصية الإسلامية لا يمكن أن تكون ناجحة النجاح المرجو المؤمل ما لم تتم في بيئة إسلامية لا مكان فيها للمؤثرات الجاهلية .

والواقع الذي تعيشه الحركة الإسلامية اليوم لا يعطيها قوامة التوجيه أو يفردها بالتحكم في حياة الفرد المسلم ، وإنما يجعل هذا الفرد في بيئة مضطربة تتنازعه شتى المؤثرات والضغوط .

فإذا استطاعت الحركة أن تهيىء لأفرادها الجو الإسلامي ، في محيط الأسرة ، أو في نطـــاق العمل، وأن تحول بينهم وبين التعايش العقيدي والخلقي مع المجتمع الجاهلي، فإنها بذلك تكون قد وقفت على أول الطريق الذي يضمن لها خلق روح التمرد فى نفوس أفرادها ، وأعدادهم ليكونوا نواة الطليعة المباركة وأمل الإسلام العظيم .

في العمل الحركي والمواجهة :

وأما العامل الثاني الذي يكمن وراء بروز ظاهرة التكامل والتآكل في حياة الحركة الإسلامية المعاصرة فيعود إلى عـــدم وضوح الطريق وإلى التخبط في ميدان العمل وإلى السير الإنفعالي غير المرتكز على رؤيا واضحة وتصور سليم ومتكامل للوسائل وللغايات والأهداف .

ويمكن تحديد أبرز معالم الانحراف في الجسم الحركي فيما يلي :

١ – عدم وضوح الطريق الأقوم لإقامة الدولة الإسلاميـة وتحقيق الإنقلاب الإسلامي . .

٢ – عفوية السير وعدم الالتزام حتى بما يوضع من مخططات مما كان يعرض في كثير من الأحيان إلى استنفاذ الجهود والقوى في معارك جانبية وأعمال جزئية لا تخدم مصلحة الإسلام الحقيقية .

٣ – عدم تبني سياسة الأخذ بزمام المبادرة مـــا كان يجعل

انفعال الحركة بالأحداث بطيئاً مما فوت ويفوت عليها كثيراً من الفرص والسوانح النفسية والزمنية .

٤ — الضياع بين الالتزام بالخط الأصيل للعمل ألا وهو التبليغ وبين الانطلاق السياسي ومحاولة الاستفادة من كل الظروف .

٥ عدم تبني أسلوب معين لاستلام الحكم الإسلامي .

٦ — المبالغة في الحذر من تبني استخدام القوة (ابتداء أو انتهاء) .

٧ — عدم وضوح التنظيم الأحكم والأكثر فاعلية في الكيان الحركي .

هذه الأسئلة وغيرها تحتاج إلى أجوبة وأجوبة واضحة كيما تخرج الحركة من متاهات التخبط والضياع . والأجوبة التي تتبناها الحركة في هذا النطاق يجب أن تعتمد على قوة الدليل الشرعي وليس على الأهواء والعواطف .

إن من حق الإسلام على الحركة الإسلامية اليوم وفي كل يوم أن يكون تصورها لطبيعة العمل الإسلامي وفهمها له موافقاً غاية الموافقة لروح الخطة التي انتهجها أول تجمع حركي في تاريخ الإسلام . ومن شأن هذا التصور أن يفرض على الحركة السير وفق الخط الأصيل الذي سلكته النبوة في مواجهة الواقع الجاهلي والتحضير لإقامة المجتمع المسلم . ولم يكن من عواقب اختلاف

التصور الحديث لطبيعة العمل الإسلامي وأهدافه إلا ضياع الجهود واستنفاذ القوى فيما لا طائل تحته .

لقد مر على الحركة الإسلامية حين من الدهر كانت كثير من الجهود تضيع في قضايا جانبية وشؤون آنية لا ترتبط لا من قريب ولا من بعيد بالهدف البعيد الذي يفرض أن تفرد له الحركة كل قواها وامكانياتها .

إن معرفة الحركة الإسلامية لأهدافها ولخط سيرها وطبيعته وخصائصه من شأنه أن يحول الخطى كل الخطى ويصب القوى في هذا الاتجاه .. كما أن من شأنه أن يصون الجهود المبذولة من الضياع والهدر ، فضلا عن أنه الطريق الأقصر لبلوغ الغاية وتحقيق الهدف .

فما هي مهمة الحركة الاسلامية الرئيسية ؟

إن على الحركة الإسلامية أن تدرك أن مهمتها الرئيسية تنحصر في إعادة تعبيد الناس لربهم كأفراد ومجتمعات . وهذه المهمة لا يمكن تحقيقها ما لم تقم للإسلام دولة تستمد حكمها وتشريعها منه ، وتعود في كافة شؤونها إليه ، وتسير في كل خطوة من خطاها على هديه القويم وصراطها المستقيم .

إن على الحركة الإسلامية ــ حين تدرك أن مهمتها الأساسية هي إخضاع المجتمع الإنساني لحاكمية الله وعبوديته ــ أن تبقي دفة سيرها محولة في هذا الاتجاه كائناً ما كانت الظروف .

إن قضايا المشاركة في تحرير البلاد تصبح من غير ضمان إسلامية مستقبلها كوأد الجهد تحت التراب . كما تصبح المشاركة في توحيد الشعوب والأقطار على غير الإسلام كتشييد بناء على غير أساس . وبالتالى كنوع من أنواع التمايش مع الجاهلية .. وبهذا المقياس ستتغير نظرة الحركة إلى أمور كثيرة كانت فيما مضى تعطيها الأولوية من جهدها ووقتها .

إن الإسلام بحاجة ماسة إلى موطىء قدم يقدم فيها للبشرية من جديد نموذجاً عملياً للمجتمع المسلم ولما يحققه من عدالة ومساواة وأمن واستقرار . وإن الأفكار والمذاهب والفلسفات المادية التي غزت العالم في العصر الحديث ما كان لها أن تصل إلى ما وصلت إليه لو لم يكن لها في الأساس موطىء قدم واحدة .

مجاهدون لا فلاسفة :

ونقطة أخرى تجدر الإشارة إليها في هذا المقام — كذلك - وهي أن الحركة الإسلامية ينبغي أن تكون (ثكنة) لتخريج المجاهدين والأبطال فضلاً عن أن تكون معهداً فكرياً لنشر الثقافة والمفاهيم الإسلامية المجردة بين الناس . إننا بحاجة إلى الوعي والعمق والحكمة مثل ما نحن بحاجة إلى الجرأة والتضحية والإقدام. وإن طغيان مبدأ تحري السلامة والمبالغة فيه واتخاذه سياسة مضطردة في كل الأحوال والظروف وعلى كل صعيد لن يكون من نتائجه إلا قتل روح التضحية في الأفراد وتحويل

الحركة الإسلامية إلى مدرسة نظرية أو اتجاه فكري مجرد .

إن القاعدة التي يجب أن تصدر عنها الحركة الإسلامية في هذا الشأن هي أن تكون مصلحة الإسلام فوق كل اعتبار ، وحيث تحققت مصلحة الإسلام وجب الاقدام مهما كلف ذلك من تضحيات .

إن الأصل الذي يجب أن تعتمده الحركة في تقييم المواقف والمعارك والمواجهات هو الاستيعاب الصحيح لطبيعة المعركة وخصائصها ، وتشخيص أبعادها وانعكاساتها وردود فعلها ، كل ذلك في ضوء التحسب الكامل للمفاجآت والمضاعفات الطارئة التي قد تقع من غير توقع أو حسبان ..

ومن التهور والخفة خوض أية معركة – مهما كانت جانبية أو صغيرة – من غير تصور صحيح لها وإعداد الكفايات اللازمة لخوضها .. لأن قبول الارتجال في قضية سيعوّد على الارتجال في كل قضية وهو مغامرة بالاسلام وعلى حساب الإسلام وهذا يدخل في حكم ما حُذرنا منه ونُهينا عنه .

أما إذا توفر الاستعداد الكامل – في نطاق القدرة المستطاعة – وفي ضوء التصور الصحيح لطبيعة المعركة وحاجاتها ومتطلباتها أصبح خوضها واجباً والهروب منها جبناً وتخاذلاً ، وما كان المؤمنون يوماً جبناء ولا متخاذلين .

إن من واجب الحركة الاسلامية كيما تكون على مستوى

المسؤولية أن تعيد النظر في منطلقاتها الأساسية .. وفي تنظيماتها الداخلية ، وفي مناهجها التربوية وخط سيرها ، ووسائل عملها ، وأسلوب مواجهتها ، أن تعرف ما هو دورها في المجتمع ، وما هي مبررات وجودها .. ولا بأس بعد ذلك أن تبدأ ولو من نقطة الصفر ..

المواصفات الأساسية التي يجب توفرها في الحركة المقترحة

وأخيراً فإن الظروف والمناخات والأوضاع الشاذة التي تعيشها البشرية قاطبة تفرض قيام حركة إسلامية عالمية تتوافر فيها كل إمكانات التحدي والمواجهة والصمود . وإليكم الآن بعض المواصفات التي يجب توفرها في هذا النطاق .

أ ـ الانقلابية :

إن الصفة الأساسية التي يجب أن تتصف بها الحركة الإسلامية المنشودة هي (الانقلابية) فالإسلام منهج انقلابي وليس منهجاً ترقيعياً .. وتحقيق المنهج الانقلابي يحتم بالتالي قيام تجمع حركي إنقلابي ، ويعيّن على الحركة التي تتصدر للعمل الإسلامي أن تكون في مستوى تحقيق الانقلاب الإسلامي وعياً ونهجاً وكفاية.

إن الحركة الإسلامية هذه أحوج ما تكون إلى استراتيجية انقلابية تبلغ بها مرحلة التنفيذ العملي لأهدافها ومبادئها ..وأعني بالاستراتيجية الانقلابية (نظرية الحركة وأسلوبها في تغيير الواقع

الجاهلي القائم بالواقع الإسلامي المنشود ، بكل ما يقتضيه هذا التغيير من فهم شامل ودقيق للواقع القائم ، وتقدير واع للقوى والعوامل التي تحركه وتؤثر فيه .. وبالتالي تصور عميق للواقع الإسلامي المرتقب ومدى ما يحتاجه من كفايات وإمكانيات على كل صعيد ..)

وينبغي أن يكون في مضمون هـذه الاستراتيجية حرص الحركة الإسلامية على أن تتولى هي بنفسها تحقيق منهجها في الحكم الإسلامي .. وليس من الإخلاص والتجرد في شيء كما يتصور البعض – زهدها في تولي الحكم.. ذلك أن العالم والتاريخ لا يعرفان حركة على الإطلاق قدمت عصارة نضالها وكفاحها لغير المؤمنين بأهدافها الملتقين معها على دروب الكفاح والنضال فالدولة الإسلامية الأولى لم تأت إلا نتيجة لجهاد الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين ..

هـذا التصور من شأنه أن (يقيّم) إدراك الحركة لمسؤولياتها ومهماتها تقييماً صحيحاً وسليماً فما هي بجمعية توجيه تقف عند حدود الوعظ والارشاد . ولا هي بمنتدى لإقامة المحاضرات والمناظرات .. ولا هي بمعهد شرعي لتخريج علماء في الشريعة والفكر الإسلامي .. ولا هـي بدار نشر لطباعة الكتب والمؤلفات الإسلامية نشراً للثقافة وإحياء للتراث ..

ولكنها الدعوة التي قدر لها أن تحمل مواريث النبوة ورسالة الإسلام في العصر الحديث .. أن تحملها بكل أبعادها وتكاليفها.

أن تحملها فكراً يكشف زيف الأفكار والمبادىء والفلسفات المادية الطاغية .. وجهاداً يتصدى للباطل في كل أشكاله، ويطيح بالطواغيت - كل الطواغيت - حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .. وحتى تقوم الدولة الإسلامية التي تنشر الخير وتحقق الطمأنينة والعدالة والمساواة، وتخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الإسلام، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام ..

وإن مثل هذه المهمات والتبعات لتتطلب من الحركة التي تقوم بها أن تكون في مستوى عال وعال جـــداً من الإعداد والكفاية على كافة المستويات ..

ب - اللامركزية :

وصفة رئيسية أخرى يجب أن تتصف بها الحركة الاسلامية العالمية الواحدة وهي صفة اللامركزية أو مجاوزة الانتماء القطري المصطنع .

والهجرة في عصر النبوة لم تكن في معناها العميق إلا لفتة إلى اللامركزية في العمل الاسلامي، وإشارة إلى أن تحقيق الاسلام قد يكون سهلاً وممكناً في مكان وصعباً ومستحيلاً في آخر ..

وعندها يصبح من الضروري إفراغ الجهد فيما هو ممكن وميسور حفاظاً على الطاقات والأوقات من التلف والضياع ..

وهذا المنطق بالذات يفرض وجود تخطيط عالمي للعمل الاسلامي في العصر الحديث، من شأنه أن يوجه الطاقات كل الطاقات - ويحشد القوى - كل القوى ويسخر الامكانيات كلها ويعمل على دفعها وحشدها حيث يؤمل الإثمار والعطاء ..

حـ ـ الفكرية :

بمعنى أن تعتمد الحركة الاسلامية الفكر وليس العاطفة — — أساساً لانطلاقها .. فهي دعوة الحجة والدليل ودعوة العقل والمنطق، وهي الميزة التي امتازت بها دعوة الاسلام وتمتاز عن سواها من الدعوات قديماً وحديثاً ..

ومن شرائط هذه الفكرية أن يكون الفهم للإسلام والدعوة إليه والحاجة فيه مبنية على عميق التصور وكلية النظر ووضوح الرؤيا ..

ومن شرائطها ـ كذلك ـ أن تكون المواجهة مع الجاهلية قائمة على دراسة مسبقة، ومركزة لأفكار هذه الجاهلية ومبادئها ووسائلها واستراتيجيتها ..

بمعنى أن تسعى الحركة للاستفادة من كل التجارب العلمية التي أنتجتها الحضارة الانسانية ومن كل مـــا تفتقت عنه عقول

البشر في شتى الحقول والميادين .. ما دامت كلها وسائل يمكن الافادة منها والانتفاع بها واستخدامها وتسخيرها فيما يعود على البشرية بالخير والنفع ..

ومن ملامح هذه العلمية استفادة الحركة من أحدث النظريات في حقل التنظيم .. ومن أحسن الوسائل وأوقعها في حقل الاعلام .. ومن أفضل الأساليب الحركية في حقل العمل الشعبي والطلابي والسياسي وغيره ..

ومن ملامح هذه العلمية اعتماد الحركة على معرفة واسعة ودقيقة للمجتمع الذي تعيش فيه ، لأوضاعه النفسية والفكرية والسياسية والحزبية ، ولارتباطاته الدولية وعلائقه الخارجية ..

د ـ الربانية :

وأخيراً أن تعتمد الحركة الاسلامية التربية الربانية سبيلاً لتكوين أفرادها وطلائع صفها .. فالشخصية الاسلامية لا تتحقق ولادتها بالتوعية الفكرية المجردة ، بل لا بد لذلك من تربية وتعهد حتى يصبح الإسلام وحدة المقياس الأساسي لإشباع الميول والنوازع ، ولدوافع الخير والشر ، ولحدود الحلال والحرام ..

إن الشخصية الاسلامية هي العنصر الأساسي في عملية التحضير لتحقيق الانقلاب الاسلامي وإقامة الدولة الاسلامية ..

ونجاح الحركة في تكوين الشخصية الإسلامية سيملكها اقوى الامكانيات وأشدها فعالية في مغالبة الصعاب وفي بلوغ الأماني والآمال ..

ولهذا وجب إعداد (الطليعة الاسلامية) إعداداً غير عادي لأن مهمتها كذلك غير عادية .. إعدادهـــا نفسيا ومعنوياً .. إعدادها عقيدياً وأخلاقياً .. إعدادها فكرياً وحركياً للقيام بالدور الكبير .. إن الحركات والقوى والاتجاهات الاسلامية مدعوة لمواجهة مصيرها المشترك ، ولمواجهة مسؤولياتها الضخمة إعادة النظر في تجاربها ، وبرسم قواعد سيرها في ضوء حاضرها ومستقبلها ، بمستوى السرعة والدقة والكفاية التي يتطلبهـا العصر والتي تتطلبها مواجهة جاهلية هي غاية في المكر والشراسة وعند ذلك فقط يتحقق فيها التفسير العملي لقوله تعالى :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ .

والله اكبر ولله الحمد

الفهـــرس

الصفحة الموضوع

وتطلب جميع منشوراتنا من:

الشركة المتحدة للتوزيع

بيروت ـ شارع سورية ـ بناية صمدي وصالحة ☎ ٦٠٢٢٤٣ ـ ٨١٥١١٢ ✉ ٧٤٦٠

دمشق ـ حجاز ـ شارع مسلم البارودي ـ بناء خولي وصلاحي ☎ ٢٢١٢٧٧٣ ـ ٢٢٢٦٤٤٣ ✉ ٢٦٢٥

برقياً بيوشران

عمان ـ دار البشير ـ العبدلي ـ مركز جوهرة القدس التجاري ☎ ٦٥٩٨٩١ ـ ٦٥٩٨٩٢ ✉ ١٨٢٠٧٧